وهل الإيمان إلا الحب ؟

(١٦)

حب
المدينة المنورة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مَـا إِنْ أَذَّنَ لِصَـلاةِ المَغْـرِبِ حتَّـى اكْتَـظَّ المَسْجِـدُ بـالمُصَلِّيـنَ، وَصلَّـوا خَلـفَ الشَّيـخِ (يَحْيَى)، ثُمَّ وَقَفَ الأُستاذُ (زَينُ العَابدِين) وَقَالَ: السَّلامُ عَليكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّةُ المُؤْمِنُون وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ.

نَلتَقِي اليَومَ لِلحَديثِ عَنِ المَدِينَةِ المُنَوَّرةِ ، وَفَضَـائِلِهَـا ، وَأهـمّ مَعـالمهَـا ، وَلِمَـاذا يُحِبُّهَـا المُؤْمِنُونَ ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؟

فهيَّا بِنَا لِنَتَذاكَرَ حَولَ هَذِه المَسْأَلة المُهِمَّة ، وَحبَّذَا لَو تَشَارَكْنَا في الحَدِيثِ، وَأدْلَى كُلّ وَاحدٍ مِنَّا بِمَا يَعْلَم...

مِنْ فَضَائِلِ أَهلِ المَدِينَةِ المُنَوَّرةِ!

قَـالَ الشَّيـخُ (مُصْطَفَـى): أُريـدُ أَن أفتتـحَ

الجَلسةَ المُبَارَكةَ بِبَعضِ مَا وَرَدَ مِن فَضَائِلِ الأَنْصَارِ ، وَمِن ذلكَ قَولهُ تَعالَى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وَقولُه أيضاً:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَأَكَّدَ اللهُ تَعالَى -وَهوَ يُصوِّرُ حَالَهُم- على المَقَامِ العَالِي الذي بَلَغهُ سُكَّانُ المَدينَةِ المُنوَّرةِ ، فَقَالَ عزَّ وَجَلَّ:

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا

كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وَفِي مَكَانٍ آخَرَ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ، يَأْتِي الحَدِيثُ عَن بَيْعَةِ الرِّضْوانِ - في الحُدَيْبِيَةِ - لِيُبيِّنَ اللهُ تَعالَى مَقَامَهُم السَّامِقَ، فَيقُولُ تَعالَى:

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨ - ١٩].

مَعَ الرَّسُولِ ﷺ

وَقَالَ الأُسْتَاذُ (نُورُ الهُدى): وَأَنَا سَأَروِي لَكُم بَعضَ الأَحادِيثِ النَّبويَّةِ، والتي بَيَّنَتْ بَعضَ

فَضَائِلِ سُكَّانِ المَدِينَةِ المُنَوَّرةِ ، مِن ذَلِكَ قَوْلُ رَسولِ اللهِ ﷺ:

«آيةُ الإيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ ، وَآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ: «لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ».

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لَولاَ الهِجْرَةُ لكُنتُ امْرأً مِنَ الأَنْصارِ ، وَلَو سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً أَو شِعْباً لَسلكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وشعبَهَا».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ ، ولأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ ، وَأَبنَاءِ أَبنَاءِ الأَنْصَارِ».

إِذَاً: لِمَاذا نُحبُّ المَدِينَةَ المُنَوَّرةَ!!

وَطَرَحَ الشَّابُّ النَّبِيهُ (حُسَين) هَذا السُّؤالَ وَقَالَ: أَرجُو مُشَارَكَة الجَمِيعِ فِي الجوابِ عَن هَذا السُّؤَال:

فَقامَ (مُعْتَزٌّ) وَقالَ:

١ ـ نُحِبُّها لأنَّها أَفضَلُ مَكَانٍ عَلى الإِطْلاَقِ ، وَذَلَكَ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ حَلَّ فِيهَا وَدُفِن ، مِصْدَاقُ ذلكَ قَولُ أَحَد العَارِفين:

جَزَمَ الجَمِيعُ بَأَنَّ خَيرَ الأَرْضِ مَا
قَدْ حَاطَ ذَات المُصْطَفَى وَحَواهَا
وَنَعَمْ لَقَدْ صَدَقُوا بِسَاكِنهَا عَلَتْ
كَالنَّفْسِ حِينَ زَكَتْ زَكَا مَأْوَاها

٢ ـ وَقَالَ الشَّيخُ (يَحْيى): وَنحبُّ المَدِينَةَ المُنَوَّرةَ لأَنَّ رَسولَ اللهِ دَعَا كَثِيراً لهَا وَلسَاكِنيهَا

وَلِكُلِّ مَن يموتُ فِيهَا ، مِصْدَاقُ ذلكَ مَا رَواه البُخَارِيُّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهمَّ اجْعلْ بالمَدِينَةِ ضِعْفَي مَا جَعَلتَ بِمكَّة مِنَ البَرَكَةِ».

وَمِصْداقُ ذَلِك مَا رَواهُ التِّرمذيُّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنا ، اللَّهُمَّ إِنَّ إبراهِيمَ عَبدكَ وخَليلكَ ونَبيّكَ ، وَإِنَّه دَعَاكَ لِمكَّةَ ، وَإِنِّي أَدعُوكَ لِلمدِينَةِ بِمِثلِ مَا دَعَاكَ لمكَّةَ وَمثلهُ معهُ».

٣ ـ وَأَحبَّ أَحدُ الحَاضِرين المُشَارَكَة فَرَفَعَ يَدَهُ وَاسْتَأذنَ ، ثُمَّ قَالَ: وَنحبُّ المَدِينَةَ المُنوَّرةَ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ حَضَّ عَلى الإقَامَةِ فِيهَا ، فَهيَ مَحْروسَةٌ وَمعصُومَةٌ ، مِصْدَاقُ ذَلكَ مَا رَواهُ البُخَارِيُّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «المَدِينةُ يَأتِيهَا الدَّجَّالُ فَيَجِد المَلائِكَةَ يَحرِسُونَها ، فَلاَ يَقْربُهَا

الدَّجَّالُ وَلاَ الطَّاعونُ إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى».

وَمَا رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحيحِهِ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ قَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُم ألاَّ يَمُوت إلاَّ بِالمَدِينةِ فَليَمُتْ بِهَا ، فَإنَّ مَنْ يَمُتْ بِهَا يُشفَع أَو يُشهَد لهُ».

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ أَيضاً ما وَردَ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ للطَّبرانيِّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ لهُ بالمَدِينَةِ أَصْلٌ فليتمسَّكْ بهِ ، وَمَن لمْ يَكُن لهُ بِهَا أَصْلٌ فَلْيَجْعَلْ لَهُ بِهَا أَصْلاً ، فَليَأْتِينَّ عَلى النَّاسِ زَمَانٌ يَكونُ الذي ليسَ لَهُ بَهَا أَصْلٌ كَالخَارجِ منهَا المُجْتَاز إلى غَيرِهَا».

٤ ـ وَقَالَ الشَّابُّ (حَسَن): وَنُحبُّ المَدِينَةَ المُنوَّرةَ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِن أَمَاكِنَ وَأُمورٍ تُذكِّرُ المُسْلِمين بالتَّاريخِ المَجِيدِ الذي سَطَّرهُ الصَّحَابَةُ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ: فَفِيهَا مَسجدهُ

الشَّريفُ ، وَالذي فِيهِ الرَّوضَةُ ، حَيثُ رَوَى البُخَارِيُّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَا بَينَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجنَّةِ ، وَمِنْبَري عَلى حَوْضِي ، وَإنَّ مِنْبَري عَلى ترعةٍ مِن تُرَعِ الجَنَّةِ».

وَفِيهَا القَبْرُ الشَّرِيفُ الذي ضَمَّ سيِّدنَا الرَّسُول ﷺ ، وَإلى جِوارِهِ وَزيراهُ أَبو بكْرٍ وَعُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهمَا..

وَفِيهَا جَبَلُ أُحُدٍ الذي ضَمَّ شُهداءَ مَعركَةِ أُحُد وَعَلى رَأْسِهِم حَمْزَةُ بنُ عَبدِ المُطَّلبِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا رَواه التِّرمذيُّ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ أُحُداً جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّه».

وَفِيهَا مَسْجِد قُبَاء: وَالذي أَسَّسهُ رَسولُ اللهِ ﷺ يَوم وُصُولهِ من مَكَّة مُهَاجِراً ، وَهوَ الذي قَالَ اللهُ فِيهِ:

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وَهُوَ الذي قَالَ فِيهِ الرَّسولُ ﷺ: «مَنْ تَطهَّرَ فِي بَيتِهِ، ثمَّ أتَى مَسْجِدَ قُباءٍ، فَصلَّى فِيهِ صَلاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرةٍ».

إِضَافَةً إلى مَسَاجِد أُخْرَى: كَمَسْجِدِ الفَتْحِ، وَمسجدِ الجُمُعَةِ، ومَسْجِدِ السّقْياءِ، وَغَيْرِهَا وَفِيهَا تُربَةُ البَقِيعِ: وَالتي تَضُمُّ كَثيراً مِنَ الصَّحابةِ الكِرَامِ، حَتَّى رُوي أَنَّ مَجْمُوعهمُ يُقارِبُ عَشرةَ آلافِ صَحَابِيًّا وَتضمُّ أَيضاً أَولادَ رَسولِ اللهِ: فَاطِمَة، وأُمّ كُلثُوم، وَرقيَّة، وَزَينَب، وَإبْراهِيم رَضِيَ اللهُ عَنِ الجَمِيعِ.

وَتَضُمُّ أَيضاً عَمَّ الرَّسولِ ﷺ: العَبَّاس بنَ

عَبدِ المُطَّلبِ ، وَعمَّتهُ: صَفِيّةَ بنتَ عَبْد المُطَّلبِ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

وَتَضمُّ أَيضاً زَوْجَات الرَّسولِ ﷺ: عَائِشَةَ ، وَحَفْصَةَ ، وسَودَة ، وزَينَبَ بنت جَحْش ، وَزينبَ بنتَ خُزَيمَةَ ، وَأُمّ حَبِيبَةَ ، وأَمّ سَلمَةَ ، وَجُوَيْريةَ بنتَ الحَارِثِ ، وَصَفيَّة بنتَ حُيَيّ ، وَمَارِيةَ القِبْطِيَّة ، وَرَيحَانَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهنَّ.

وَتَضمُّ أَيضاً بَعضَ أَقَارِبِ النَّبيِّ ﷺ: الحَسَنَ بنَ عليٍّ ، وَأَبا سُفيَانَ بنَ الحَارث بنِ عَبدِ المُطَّلبِ ، وَعقِيلِ بنِ أَبِي طَالبٍ ، وحَليمَة السَّعديَّة ، و... رَضِيَ اللهُ عَنهُم جَمِيعاً.

٥ ـ وَأَخرجَ الشَّابُّ (مُهْتَدي) وَرَقَةً مِن جَيْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ: ونُحبُّ المَدِينَةَ المُنوَّرةَ ، لأَنَّ الرَّسَولَ ﷺ تَوعَّدَ لِمنْ أَرادَهَا أَو أَرادَ أَهلَها بِسُوءٍ ، وَأَوصَى بِهَا وَبِهم ، ثُمَّ قَرأَ مِنَ الوَرَقَةِ:

فِي مُسْنَدِ الإمَامِ أَحْمَد أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَافَ أَهلَ المَدِينَةِ ظُلْماً أَخَافَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، وَعليهِ لَعنَةُ اللهِ والمَلائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعين، لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنهُ يَوم القِيَامَةِ صَرْفاً ولاَ عَدْلاً».

وَفِي (تَرْتِيبِ المَدَارِكِ) لِلقَاضِي عِيَاضٍ (ت: ٥٤٤هـ) رَحِمهُ اللهُ: أَنَّ الإمامَ مَالِك رَضيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: دَخلتُ عَلى الخَليفةِ العبَّاسيِّ: المَهْدِيّ ، فَقَالَ: أَوْصِني.

فَقُلتُ: أُوصِيكَ بِتَقْوى اللهِ وَحْدَهُ ، والعَطْفَ عَلى أَهلِ بَلدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجِيرانِهِ ، فإنَّهُ بلغَنَا أنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: «المَدِينَةُ مُهاجِرِي ، وَمِنْهَا مَبْعَثي ، وَبِهَا قَبْرِي ، وَأَهلُها جِيرَاني ، وحَقِيقٌ عَلى أُمَّتي حِفْظ جِيرَانِي ، فَمَن حَفِظَهُم فِيَّ كُنتُ لَهُ شَفِيعاً أَو شَهِيداً يَوم القِيَامَةِ ، وَمَن لمْ يَحفظْ وَصِيَّتِي فِي جِيرَانِي

سَقَاهُ اللهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ»[1].

وَفِي كِتَابِ (وَفَاء الوَفَا) للسَّمْهُودِيّ:

لمَّا قَدِمَ المَهْدِيّ المَدِينَةَ المُنوَّرةَ اسْتَقْبَلَهُ الإمَامُ مَالِكٌ وغيرهُ مِن أَشْرافِهَا عَلى أَميالٍ ، فلمَّا بَصُرَ بِمَالِكٍ انحرَفَ المَهْدِيُّ إليهِ فَعَانَقَهُ وَسَايَرهُ ، فالتَفَتَ إليهِ مَالِكٌ وَقَالَ: يَا أَميرَ المُؤْمِنينَ! إنَّكَ تَدْخُلُ الآنَ المَدينَةَ ، فتمرُّ بِقَومٍ عَن يَمينِكَ وَيسارِكَ ، وَهُم أَولاَدُ المُهاجِرينَ وَالأَنصَار ، فَسلِّم عَليهِم ، فَإنَّ مَا عَلى وَجْهِ الأَرضِ قَومٌ خَيرٌ مِن أَهلِ المَدِينَةِ ، وَلاَ خَيرٌ مِنَ المَدِينَةِ ، قَالَ: وَمِنْ أَينَ قُلْتَ ذَلِكَ يَا أَبا عَبد اللهِ؟

فَقَالَ: لأنَّهُ لا يُعْرَفُ قَبرُ نَبِيٍّ اليَومَ عَلى وَجهِ الأَرْضِ غَيرُ قَبْر مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمنْ كَانَ قَبْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ عِندَهُم فَيَنْبَغي أَن يُعرفَ فَضلُهم عَلى

---

(١) أي: عصارة أهل النار ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

غَيرِهم ، فَفَعلَ المَهْديّ ما أمرهُ بهِ.

اللَّهُمَّ اجْعلْ لنَا بِالمَدينَةِ قَرَاراً!!

وَرَاحَ الشَّيخُ (مُصْطفَى) يُنشِدُ بَعضَ أَبياتٍ مِن الشِّعْر:

دَار الحَبِيبِ لنَا فَلُذْ بِرَحيبهَا
فَالنَّفْسُ مُولعَةٌ بِدَارِ حَبيبهَا
اللهُ شَـرَّفهَـا بـهِ لنصيبِهـا
وَاختصَّهَا بِـالطيِّبيـنَ لطيبهَـا
وَاختارَهَا ودَعَا إلى سُكْناها
مُدّتْ بِهَا رُحمَى الإله ظِلالها
مِن أَجْلِ مَنْ مَنعَ النُّفُوسَ ضَلالَها
جُلْ فِي البِلاَدِ فَلنْ تصيبَ مِثَالَها
(لاَ كَالمَدِينَةِ مَنْزِلٌ وَكَفَى بهَا
شَرَفاً حُلُولُ مُحَمَّدٍ بِفِنَاها)

وَحَاوَلَ الشَّيخُ أَن يُكْمِلَ ؛ لَكِنَّ البُكاءَ غَلبهُ ، ثُمَّ حَاولَ مرَّةً أُخْرى لَكِنَّهُ لمْ يَسْتَطِعْ... فَمَا كَانَ مَن الأُسْتَاذِ (زَين العَابِدين) إلى أَن قَال:

دَارُ الحَبِيبِ أَحقُّ أَنْ تَهْواهَا
وَتحنُّ مِن طَربٍ إلى ذِكرَاهَا
وَعَلى الجُفُونِ مَتَى هَمَمْت بِزَوْرَةٍ
يَا بنَ الكِرامِ عَليك أَنْ تَغْشَاهَا
يا رَبّ أسأَل منكَ فَضْل قَنَاعَةٍ
بِيَسيرِهَا وَتَحصُّناً بِحمَاهَا

وَرَدَّدَ الجَمِيعُ... مَعَ البُكَاءِ... وَ... آمِين.. آمِين.

وَآخرُ دَعْوانا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ